**يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان**

**الدّوينى الأصل التكريتي المولد**

**( صلاح الدين الايوبى )**

**ودُين بضم الدال وكسر الواو بعدها آخر الحروف ساكنة ثم نون بطرف أذربيجان من جهة أران أهلها أكراد**

**وهو السلطان الملك الناصر التقى النقي العالم الذكي فاتح الفتوح بركة أهل زمانه صلاح الدين المظفر ابن الأمير الملك الأفضل نجم الدين**

**ولد سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بتكريت إذا أبوه واليها**

**وسمع الحديث من الحافظ أبى طاهر السلفي وأبى الطاهر بن عوف والشيخ قطب الدين النيسابورى وعبد الله بن برى النحوي وجماعة**

**روى عنه يونس بن محمد الفارقى والعماد الكاتب وغيرهما**

**وكان فقيها يقال : إنه كان يحفظ القرآن " والتنبيه " في الفقه و : الحماسة " في الشعر**

**وملك البلاد ودانت له العباد وأحبه الخلق ونصر الإسلام وغزا الفرنج وكسرهم مرات وفتح المدن الكبار وأقام في السلطنة أربعا وعشرين سنة يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله**

**وكان ملكا عظيما شجاعا مهيبا عادلا يملأ العيون رَوْعةً والقلوب محبة قريبا بعيداً عابدا قانتا لله لا تأخذه لومه لائم مجلسه يجمع الفضلاء والفقراء وأصحابه كأنما هم على قلب رجل واحد محبة فيه واعتقاداً وطواعيةً**

**ولقد صنف في سيرته القاضي ابن شداد كتابا مستقلا وصنف ابن واصل كتابا في سيرته وسيرة أهل بيته وصنف أبو شامة في سيرته وسيرة الملك نور الدين وصنف العماد الكاتب في فتوحاته وصنف آخرون في شأنه وما عسى ( الذي نُرده بعد ما أطال هؤلاء ثم اعترفوا بالقصور والتقصير في حق هذا** **السيد الكبير ولنأت بما فيه مقنع وبلاغ**

**( ذكر ابتداء أمره قبل مُلْكه )**

**قدم به أبوه إلى دمشق وهو رضيع فناب أبوه ببعلبك لما أخذها أتا بك زنكي في سنة ثلاث وثلاثين وقيل : إن أباه خرج من تكريت في الليلة التي وُلد فيها صلاح الدين فتَطيروا به وقال بعضهم : لعل فيه الخيرة وأنتم لا تعلمون فكان كذلك ثم اتصل والده نجم الدين أيوب بالملك نور الدين الشهيد فخدمه هو وولده صلاح الدين هذا خدمه هو وولده صلاح الدين هذا خدمة بالغة وكان أسد الدين شيركوه أخو نجم الدين عند نور الدين قبلهما وكان أرفع عنده منهما منزلةً فإنه كان مُقدم جيوشه فلما تخلخل حال المصريين الفاطميين وضعفوا عن مُقاواة الفرنج وكادت الفرنج تكلك القاهرة وملكوا بلبيس وصيروا لهم بالقاهرة شحنة يحكم وضُعف أمر الإسلام بديار مصر جداً وكان الفاطميون قد بلغوا في سوء السيرة إلى الحد المعروف وأفتى علماء الإسلام بابإحة دمائهم ووجوب قتالهم لما هم عليه من الزندقة والإلحاد ووصل شاور وزير العاضد خليفة مصر إلى دمشق إلى نور الدين يستنجده ثم عاد إلى مصر فجهز نور الدين إليهم عسكرا أمر عليهم أسد الدين شيركوه وجهز معه اخاه نجم الدين وابن أخيه صلاح الدين فدخلوا مصر آمنين وقتلوا شاور وولى شيركوه وزارة الخليفة العاضد إلى أن مات بعد نيف وسبعين يوما فولى بعده صلاح الدين الوزارة وهى فى ذلك الوقت كالسلطنة فا ستقل بسلطنة مصر ولقب بذلك الناصر لقبه بذلك الخليفة العاضد في سنة أربع وستين وصار للعاضد معه الاسم فقط وصار صلاح الدين هو السلطان فاستمر إلى أول سنة سبع وستين فقطع صلاح الدين الخطبة للعاضد وخطب للمستغنى خليفة بغداد واستقل بالملك ومات العاضد وقبض صلاح الدين على الفاطميين بأسرهم واستولى على القصر وخزائنه وهى أموال لا تحصى ولا تعرف لملك قبل الفاطميين**

**وكان صلاح الدين من حين انصل بخدمة نور الدين قد طلق اللّذات وكان إليه خفيفاً على قلبه ولما افتتح مع عمه مصر ثم استقل بالوزارة عَظمت سطوته واتفقت له وقعة مع السودان سنة بضع وستين وكانوا نحو مئتى ألف فُنصر عليهم وقَتل أكثرهم وهرب الباقون وابقى سور والقاهرة على يد قراقوش واستفحل أمره جداً إلى أن أباد بيت الفاطميين وأهان الرفض وغيرهم من بدع المبتدعين**

**( ذكر يسير من أخباره بعد استقلاله بالسلطنة وموت العاضد )**

**وقد كان لما قَبض على الفاطميين أخذ في نصرة السُنى وإشاعة الحق وإهانة المبتدعة والقبض على الفاطميين والانتقام من الروافض وكانوا بمصر كثيرين ثم تجردت همته إلى الفرنجة وغزْوهم وكان من أمره معهم ما ضاقت به التواريخ وكان من أول فتوحاته بَرقة ونفوسة افتتحها على يد أخيه شمس الدولة فى ستة وستين ثم فى سنة تسع افتتح اليمن وقبض على المتغلب عليها عبد النبى بن مهدى ثم فى سنة سبعين سار الى من مصر الى دمشق بعد وفاة نور الدين مظهراً أنه يقيم نفسه أتا بكا لولد نور الدين لكونه صبيا فدخلها يلاطفه ونزل بالبلد بدار ابيه المعروفة بدار العَفيفى التى هى اليوم المدرسة الظاهرية ثم تسلم القلعة وصعد إليها وأخرج الصبى من الملك وسار هو سلطان مصر والشام واليمن والحجاز ثم سار قاصدا حمصْ ولم يشتغل بأخذ قلعتها ثم نازل جلب وهى الواقعة الاولى وفيها سيّر السلطان غازى بن مودود أخاه عز الدين مسعوداً فى جيش كبير لحربه وكان بها ولد نور الدين فترحل عن حلب ونزل على قلعة حمص فأخذها وهو مع ذلك يُظهر حسن المقاصد وأنه قاصد إعزاز الدين وإنقاذ البلاد من الفرنج وتسهيل أمور المسلمين**

**وجاء عز الدين مسعود فاخذ معه عسكر حلب وصار إلى قُرون حماة وأخذ صلاح الدين يراسلهم دواماً للصلح كيلا يقع سيف بين المسلمين وهم يراسلونه وهم يطنون أنه يطلب الصلح لضعفه عنهم وهم لا يعرفون ما عليه من حسن النية وحقّق عندهم ما ظنوه كثرة عساكرهم وقلة من كان مع صلاح الدين من العسكر قي ذلك الوقت فلما أبوا إلا المشاجرة معتقدين أن ألمصاف معهم يُحصل غرضهم وأعجبتهم كثرتهم لا قاهم صلاح الدين فكانت الهزيمة عليهم وأسر صلاح الدين منهم خلقا ثم ساق وراءهم ونزل حلب ثانيا فصالحوه واعطوه المعَرّة وكفر طاب وبارين**

**وجاء صاحب الموصل غازى فحاصر اخاه عماد الدين زنكى صاحب زنجار لكونه انتمى إلى صلاح الدين ثم صالحه لما بلغ غازى كسر أخيه مسعود ونزل بنصبين وجمع العساكر وأنفق الاموال وعبر الفرات وقدم خلب فخرج إلى تلقّيه ابن عمه الصالح اسماعيل بن نور الدين وأقام فى حلب مدةً**

**ثم كانت وقعة تل السلطان وهى منزلة بين حلب وحماة جرت بين صلاح الدين وصاخب الموصل في سنة إحدى وسبعين فُنصر صلاح الدين ورجع غازي وعدّى الفرات بعد ما استأصل صلاح الدين كثيرا من خيامه وأمواله وفرقها في جماعته ثم صار صلاح الدين فتسلم مَنبج وحاصر قلعة أعزاز ثم نازل جلب ثالثا وأقام عليها مدة فأخرجوا ابنة صغيرة لنور الدين إلى صلاح الدين فسألته أعزاز فوهبها لها ثم عاد إلى الديار المصرية واستناب بدمشق أخاه شمس الدولة تورا شاه وكان قد عاد من اليمن وكانت هذه السّفرة منه الى الشام مما نقيم عليه ظاهرا للإساءة فيها الى ولد نور الدين وهو ابن مخدومه الذى أنشاه وأحسن اليه وقيامه على بيت المُلك والعز قبله وهما صاحب الموصل وأخوه غير أن الحال بالآخرة تبين أن الله تعالى قد أراد إعزاز دينه على يد هذا الرجل وأنه لا يتم للمسلمين أمر بدون سلطان قاهر قادر على استئصال شأفة الفرنج فى ذلك الوقت يجتمع عليه المسلمون ولا تتفرق عنه كلمتهم ويكون هو في نفسه جديرا بذلك وأبى الله أن يكون في ذلك العصر إلا صلاح الدين**

**فلما وصل إلى القاهرة عائدا من الشام بعد ما فعل مارايت مجمله دون مُفصّلة وفى تفاصيله شرح كبير أحلناك على كُنبُه خرج إلى الفرنج في سنة ثلاث والتقاهم على الرملة فانكسر المسلمون يومئذ وثبت صلاح الدين وتحيز بمن معه ثم دخل إلى مصر ولم شَعَث العسكر ثم عاد إلى الشام وملك حلب وغيرها من البلاد وعظمت الشوكة ثم توجه لمحاصرة الفرنج بالكرك وجاء أخوه العادل من مصر وكان قد استنا به عليها فسير صلاح الدين تقى الدين عمر ابن أخيه ليحفظ مصر وأعطى أخاه العادل حلب بعد أن كان بها ولده الظاهر بن صلاح الدين وقدم الظاهر من حلب ثم أعاد العادل إلى مصر والظاهر إلى حلب ثم نزل على الموصل وترددت الرسل بينه وبين صاحبها عز الدين ثم مرض صلاح الدين فرجع إلى حَران واشتد مَرَضه بحيث أيسوا منه وحَلَفوا لأولاده بإمرة والله يريد حياته ليتم إعزاز دينه فعُقى ومر بحمص وقد مات بها ابن عمه محمد بن شيركوه اثنتى عشرة سنة فأق\عها لولده شيركوه ثم استعرض التركة فأخذ أكثرها وكان عُمًرُ شيركوه لثنتى عشرة سنة ثم إن شيركوه هذا الشاب حضر بعد سنة عند صلاح الدين فقال له : أين بلغت فى القرآن ؟ فقال: إلى قوله تعالى “**  **فعجب الحاضرون من ذكائه وقيل: إن صلاح الدين إنما أخذ الأموال ليحفظها لهذا الشاب**

**وفى سنة ثلاث وثمانين افتتح صلاح الدين بلاد الفرنج وأسر ملوكهم وكسرهم على حطين وتوالت عليه الفتوحات وأنقذ البيت المُقدس منهم وافتتحه وأعز الدين**

**ومما اقتلعه من يد الفرنج طبريه وقتل وأسر فى ذلك اليوم أكثر من أربعين ألفا وتسلم قلعتها وأُحضر إليه صليب الصلبُوت وضُرب بين يديه في مخيمه أعناق مائتي فارس من عظماء الفرنج**

**ثم افتتح عكا وكانت من أعظم حصونهم وأكثر مدنهم وأقام بها الخُطبة الإسلامية ثم افتتح بيت المقدس وغيره وأخلى ما بين الشام ومصر من الفرنج وهذا عداد ما يحضرنا من فتوحاته من ايدى الفرنج**

**قلعة أيلة طبرية عكا القدس الخليل الكرك الشوبك نابلس عسقلان بيروت صيدا بيسان غزة لُد حيفا صفورية الفُلة مَعْلَيَا الطور إسكندرونة قلنسوة يافا أرسوف قيسارية جبلة يُبْبَنى صرفند عَفْرَبلا اللجون نجد قافون مجدل يابا تل الصافية بيت نوبا النطرون الزيب الوعيرة الهرمن بعلب العازرية نقوع الكرمل مجدل الطار المعبر فى جبل عاملة والشقيف سبسطية ويقال بها قبر سيدنا زكريا وجبيل وكوكب وأنطرطوس واللاذقية وبكسرائيل وصهيون وحَبْلة وقلعة العيد وقلعة الجماهيرية وبلاطلس والشغر وبكاس وسرمانية وبرزية ودربساكوبغراس وكانا كا لجناحين لأنطاكية ومدينة صفد**

**وكل هذه مدائن منيعة وأكثرها اليوم قرى كبار ومنها مدائن كثيرة إلى الان**

**ونازل صور مدة ولم يقدر له فتحها وله مسافات يطول شرحها وافتتح كثيرا من بلاد النوبة من يد النصارى**

**ومن تأمل الرسائل الفاضلية رأى العجب من تأثيرات هذا الرجل فى الاسلام ومن شدة باسه وشجاعته**

**وكانت مملكته من الغرب إلى تخوم العراق ومعها اليمن والحجاز فملك ديار مصر بأسرها مع ما انضم إليها من بلاد المغرب والشام ونشر العدل في الرعية وحكم بالقسط بين البرية مع الدين المتين والورع والزهد والعلم كان يحفظ القرآن " والتنبيه " "والحماسة " قال الموفق عبد اللطيف : رأيت السلطان صلاح الدين على القدس فرأيت ملكا عظيما يملأ القلوب روعةً والعيون محبة قريبا وبعيدا سهلا محبباً وأصحابه يتشبهون به يتسابقون إلى المعروف كما قال تعالى " ونزعنا ما في صدورهم من غل " وأول ليلة حضرته وجدت مدلسا حَفلا باهل العلم يتذاكرون فى أصناف العلوم وهو يجسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك وكان مهتما في بناء سور القدس وحفر خندقه يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ويتأسى به جميع الأغنياء والفقراء فيركب العصر لذلك قيل طلوع الشمس إلى وقت الظهر ويأتي داره فيًمُد السّماط ثم يستريح ويركب العصر ويرجع في ضوء المشاعل ويصرف أكثر الليل في تدبير ما يعمله نهارا وكان يحفظ " الحماسة " ويظن أن كل فقيه يحفظها انتهى مختصرا**

**وقد وثبت عليه الإسماعيلية مرة فجرحوه وسلمه الله وهو الذي ابتنى قلعة القاهرة على جبل المقطم**

**وفتح بلاد المسلمين : خراسان وسروج والرُها والرقة والبيرة وسنجار ونصبيين وآمد وملك حلب والبوازيج وشهر زور وحاصر الموصل إلى أن هادنه صاحبها عز الدين مسعود ودخل في طاعته وكانت هذه عادته إذا دخل احد في طاعته لا يقابله إلا بالإحسان**

**وفتح أيضا من بلاد الشرق: خلاط على يد ابن عمه تقي الدين فهذا ما افتتحه من بلاد المشرق**

**واستولى أيضا على طائفة وفتح عسكره مدينة طرابلس الغرب وكسر عسكر تونس وخطب بها لبنى العباس وافتتح بلاد اليمن قيل : ولو لم يقع الخُلف بين عسكره الذين جهزهم الى الغرب لملك المغرب بأسْره**

**ولم يختلف عليه مع طول مدته أحد من عسكره على كثرهم وكان الناس يأمنون ظلمه لعدله ويرجون رفْده لكثرته ولم يكن لمُبْطل ولا لصاحب هَزْل عنده نصيب وكان إذا قال صدق وإذا وعد وفى وإذا عاهد لم يخن وإذا نازل بلدا واشرف على أخذه ثم يطلب أهله الأمان يُمنّهم وكان جيشه يتألمون لذلك لفوات حظهم ولايَسُعهم وفاقه وامتثال أمره**

**وكان رقيق القلب جدا وربما حَلّق على مدينة وأحاط بها فسمع بكاء الحريم فتركها وإنما يفعل ذلك مع المسلمين**

**فمن كتاب فاضلي في فتوح حمص : " لما أحدقت العساكر المنصورة بالسور ألعاصم إحداق السوار بالمعاصم وطارت السهام إلى أوكارها من الضلوع وبَرَقت الأسنة وكأنها زبَد بحار الدموع حصحص الحق واتسع الخرّق وعلم إن مارداه الخالق لا يرده الخلق فترتفع الضجيج وعلا تحت العجاج العجيج وأدركتنا رقة رفضت من أيدينا الرفاق وخشية عَنت لنا أعنة الفساق فرفعنا على الاسوار اعلاما منشورة بالكف والإمساك مأمورة ووضعت الحرب أوزارها وحلت الأمنة أزرارها وشفعنا الوجوه المستورة بالخفر من نسْوانها فى الوجوه المكشوفة بالمعصبة من فرسانها "**

**وربما حاصر قوما ولم يمتنع الميرةَ عنهم وجرى معهم على كذبهم ليأخذَهم بالسهولة ثم يتبين له غدرهم وكذبهم وهو مع ذلك يحلم عنهم ويراعى مصلحة الدين كما اتفق له فى حمص وقد افتتح المدينة وعصت عليه القلعة ولم يمنع الميرة عن اهلها ثم لما تبين له حالهم لم يبادر الى الهدم مع مافيه من سرعة نصرته خشية على القلعة لمونها من حصون المسلمين وطاول بهم الأمر إلى إن تيسر له فتحها**

**فمن كتاب فاضلي عن السلطان وهو محاصر قلعة حمص وقد بلغه ا ناهلها استنجدوا عليه بالفرنج " وأمرنا في القلعة بأن لا يّضيق لها خناق ولا يضعف لأهلها أرامق ولا يمنع البيع ولا الشراء والانتقال ويُفتح لها ما لا يفسح فيه من يريد تثقيل وطأة الحصار وكان من استدعائهم الفرنجة ما كان وهان بفضل الله تعالى من أمرهم ما هان " ثم أخذ يصف القلعة المشار إليها بكونها " نجما في سحاب وُعقابا فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة إذا خَضَبها الاصيل كان الهلال منها قلامة عاقدة حُبْوَ صالحها الدهر على ان لا يَحلها بفزعه عاقدة عصمة صافحهما الزمن على أن لا يُرَوّعها بخَلعه فا كتنفت بها عَقارب لا تَطبَع طبع حمص فى العقارب وضربتها بالحجارة فأظهرت العداوة المعلومة بين الاقارب ولم تكن غير ثالثة ( من الجد إلا وقد أثرت فيها جُدَرياً بضربها ) ولم نَصل الى السابع إلا والبحر أتى يُنْذر بَنقبها واتسع الخَرق على الراقع وسقط سَعدها عن الطالع إلى مولد من هو إليها طالع وفتحت الابراج فكانت أبوابا وسيرت الجبال منها فكانت سرابا فهنا لك بدت ثقوب**

**" يرى قائم من دونها ماوراءها "**

**( ومن الكتب والمراسيم )**

**كتب فى النهى عن الخوض فى الحرف والصوت ( لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ....) الآية خرج أمرنا إلى كل قائم في صف أو قاعد في أمام و خلف أن لا نتكلم في الحرف بصوت ولا في الصوت بحَرف ومن يتكلم بعدها كان الجدير بالتكليم : ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يُصيبهم عذاب أليم ) وسأل النواب القَبْضَ على مخالفي هذا الخطاب وبسط العذاب ولا يسمع لمُتفقه في ذلك تحرير جواب ولا يقبل عن هذا الذنب كتاب ومن رجع الى هذا الإيراد بعد الإعلان وليس الخَبَرُ كالعيان رجع أخسر من صفته أبى غَبْشان ولْيْلَن بقراءة هذا الامر على المنابر ليعلم الحاضر البادى ويستوى فيه البادى الحاضر والله يقول الحق وهو يهدى السبيل قلت : لا أشك أن هذا الفصل من كلام القاضى الفاضل**

**( وهذه وقائع شَتّى )**

**من ابتداء دخوله الى مصر قبل ان يتسلطن والى ان استأثر الله بروحه الطاهرة مختصرة مقتصرا فيها عيون الاخبار**

**وفى سنة أربع وستين وخمسمائة : كان مسير اسد الدين شركوه عم السلطان صلاح الدين الى مصر المسير الثالث وذلك ان الفرنج قصدت الديار المصرية فى جموع كثيرة وكان الملك نور الدين من جهة الشمال ونواحى العراق فطلعوا من عسقلان وأتوا إلى بلبيس فحاصروها وملكوها واستباحوها ثم نزلوا على القاهرة فحاصروها فأحرق شاوَر مصر خوفا خوفا من الفرنج وبقيت النار فيها أربعة وخمسين يوما فلما ضايقوا القاهرة وضعف المسلمون عنهم بعث الى ملكهم يطلب الصلح على ألف ألف دينار يُعجل له بعضها فأحابه ملك الفرنج واسمه مُرّى الى ذلك وحلف له فحمل إليه شاور مائة الف دينار وماطله بالباقى وكانت فى ذلك الملك العادل نور الدين يَسْتَنجدُ به وسود كتابه وجعل فى طيه ذوائب النساء وواصل كُتُبَه وكان بحلب فساق أسد الدين من حمص الى حَلب فى ليلة قال القاضى بهاء الدين ابن شداد قال لى السلطان صلاح الدين كنت أَكْرَهَ الناس للخروج الى مصر هذه المرة وهذا معنى قوله ( وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم )**

**وقال ابن الأثير : إن صلاح الدين قال : لما وردت الكتب من مصر إلى نور الدين أحضرنى وأعلمنى الحال وقال : تمضى إلى عمك أسد الدين بحمص مع رسول إليه تحثونه على الحضور ففعلت فلما سرنا عن حلب ميلا لقيناه قادما فقال له نور الدين : تجهز فامتنع للخوف من غدرهم اولا وعدم ما ينفقه فى العساكر آخراً فأعطاه نور الدين الاموال والرجال وقال له : إن تأخرت عن مصر سرت أنا بنفسى فإنها إن مَلكها الفرنج لا يبقى معهم بالشام مُقام فالتفت الى عمى وقال : تجهز يايوسف فكانما ضرب قلبى بسكين فقلت : والله لو اعطيت ملك مصر ماسرت غليها فلقد قاسيت بالاسكتدرية من المشاق مالا انساه فقال عمى لنور الدين : لا بد من مسيره معى وارسم له فأمرنى نور الدين وأنا أستقبله فانفض المجلس ثم قال نور الدين : لابد من مسيرك مع عمك فشكوت الضائقة فاعطانى ما تجهزت به وكانما أساق الى الموت وكان نور الدين رجلا مهيبا فسرت مع عمى فلما توفى اعطانى الله من الملك مالا كنت أتوقعه . انتهى**

**فجمع أسد الدين الجيوش وسار إلى دمشق وعرض بتا الجيش وتوجه إلى مصر في جيش عَرمرم فقيل : سبعين ألف فارس وراجل فتقهقر الفرنجة لمجيئه ودخل القاهرة في سابع ربيع الآخر وجلس في الدس وخلع عليه المعاضد خلع السلطنة وولاة وزارته وقام شاور بضيافته وضيافة عسكره وتردد إلى خدمته فطلب منه أسد الدين مالا ينفقه على جيشه فما\له فبعث إليه الفقيه ضياء الدين عيسى بن محمد الهكارى يقول : ان الجيش طلبوا نفقتهم وقد ما طلتهم بها وقد تغيرت قلوبهم فإذا أتيتنى فكن على حذر منهم فلم يؤثر هذا عند شاور وركب على عادته وأتى اسد الدين مسترسلا وقيل : إنه تمارض فجاء شاور يعوده فاعترضه صلاح الدين وجماعة الامراء النورية فقبضوا عليه فجاءهم رسول العاضد يطلب رأس شاور فذُيح وحُمل إليه فى سابع عشر ربيع الآخر ثم لم يلبث أسد الدين ان حضرته المنية بعد خمسة وستين يوما فقلد العاضد السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف السلطنة ولُقب الملك الناصر وكتب بتقليده القاضى الفاضل بعد ما كان وقع خُلف كبير عند الفراغ من عزاء اسد الدين فيمن يكون سلطانا ثم اتفقت كلمة الامراء النورية على صلاح الدين قال العماد الكاتب وأَلزموا صاحب القصر يعنى العاضد بتوليته**

**وقال القاضى : كانت الوصية الى صلاح الدين من عمه فلبس خْلعة السلطنة بالقصر بين يدى العاضد وقبل يده وجاء الى دار الوزارة وإن شئت قلت : دار السلطنة فإن الوزارة عند الفاطميين هى السلطنة اسما ومعنى وجلس فى دست الملك وشرع فى تركيب السلطنة وترتيبها فأول ما دهمه أمر الخادم الخَصى الذى كان يُلقب مؤتمن الخلافة فإنه شق العصا باطنا وائتمر وتنمر وانضمت اليه طوائف من أخبث الروافض وكاتبوا الفرنج خفيةً فاتفق ان تُركُمانيا عَبر بالبئر البيضاء قرأى نعليبن جديدين مع انسان فأخذهما وجاء بهما الى صلاح الدين فوجد فى البطانة خرقة مكتوب فيها : الى الفرنج من القصر فقال : دُلٌّونى على كاتب هذا الخط فَدل على يهودى فلما حضر تلفظ بالشهادتين واعترف انه كتب ذلك بأمر الطّواشى المشار إليه واستشعر الطواشى الخبر فلزم القصر وأرض عنه صلاح الدين الى ان خرج الى قرية له فأنهض له السلطان صلاح الدين من أخذ رأسه فى ذى القعدة وقرر مكانه بهاء الدين قراقوش فصار مختوما على القصر لا يدخل القصر شىء ويخرج إلا بمرأى منه ومسمع**

**فلما قتل الخادم غار السودان وثاروا وكانوا اكثر من خمسين الف مقاتلة وقد قدمنا انهم كانوا نحو مائة الف وكل قاله المؤرخون ولعل الجمع بينهما ان الخمسين الفا كانوا مقاتلة فرسانا والباقون كانوا رجالة لا يضمهم ديوان واقبلوا كقطع الليل المظلم فخرج اليهم من عسكر صلاح الدين الامير ابو الهيحاء واتصل محلة تسمى المنصورة فُخربت وحُرقت ثم بلغ نور الدين نبأ هذه الاخبار الطيبة فانشرح صدره وأمد صلاح الدين بأخيه شمس الدولة تورانشاه**

**ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة**

**وفيها نزل الفرنج على دمياط فى صفر وحاصروها أحدا وخمسين يوما ثم رَحلوا خائبين لأن نور الدين وصلاح الدين أجلبا عليهم براً وبخراً وأنفق صلاح الدين أموالاً كثيرة وقال : مارأيت أكرم من العاضد أرسل لى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها**

**وفيه دخل نجم الدين ايوب أبو صلاح الدين مصر فخرج العاضد بنفسه إلى لقائه وتأدب ابنه صلاح الدين معه وعرض عليه منصبه**

**ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة**

**وفيها عَمل صلاح الدين بمصر مدرستين للشافعية والمالكية وخرج بجيوشه فأغار على الرملة وعسقلان وهجم على ربض غزة ورجع إلى مصر وجهز بعض جنده إلى قلعة آيلة فغزوها وافتتحوها واستباحوا الفرنج فيها قتلا وسبيا وكان فتح هذه القلعة واستعادتها من الفرنج أعظم النعم على المسلمين فإنها كانت قلعة منيعة وكانت الفرنج قد اتخذوها هى والكرك سبيلا إلى الاحاطة بالحرمين الشريفين فقدر فتحهما على يد هذا السلطان رحمه الله**

**ومن كتاب فاضلى من السلطان الى الخليفة يُعَدد فيه ما للسلطان من الفتوحات ومن جهاد الفرنج ومنها قلعة بثغر أَيلة بناها العدو فى البحر ومنها المسلك الى الحرمين الشريفين بحيث كادت القبلة يستولى عليها أصلها والمشاعر يسكنها غيرُأهلها ومَضجع الرسول صلى الله عليه وسلم يتطرق إليه الكفار فى كلمات قالها**

**ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة**

**فاستفتح السلطان الخطبة الاولى فى الجمعة الاولى منها بجامع مصر لبنى العباس وأقيمت الخطبة العباسية فى الجمعة الثانية بالقاهرة وأعقب ذلك موت العاضد فى يوم عاشوراء بالقصر وجلس السلطان للعزاء وأغرب فى الحزن والبكاء وانقرضت دولة الفاطميين وكان لها أكثر من مائتى سنة وتسلم السلطان القصر بما فيه من خزائنه وذخائره واختاط على آل القصر فجعلهم فى مكان برسمهم وقُررت لهم المؤُنة وجُمعَت رجالهم واحُرز عليهم ومنُوا من النساء لئلا يتناسلوا وذكر المؤرخون من نفائس القصر وذخائره كالا نطيل بذكره وانتقل الملك العادل سيف الدين ابو بكر الى القصر بمرسوم أخيه فاستقر فى نيابة السلطان وكُتبت الكتب الى بغداد بالبشارة وأعاد الجواب والخُلعة الفائقة العباسية الى السلطان صلاح الدين**

**وفيها قال ابن الاثير : حدث ما أوجب نُفْرة نور الدين عن صلاح الدين وذلك أن نور الدين أرسل إليه يأمر بجمع الجيش والمسير لمنازلة الكَرَك ليجىء هو بجيشه ويُحاصرانها فكتب الى نور الدين يُرفه أنه قادم فرحل غلى قصد الكَرَك وأتاها وانتظر وصوله فأتاه كتابُه يعتذر باختلال البلاد فلم يقبل عذره وكان خواص صلاح الدين خَوَّفوه من الاجتماع به وهم نور الدين بالدخول الى مصر وإخراج صلاح الدين عنها فبلغ صلاح الدين فجمع اهله وأباه وخاله الامير شهاب الدين الحارمى وسائر الامراء واطلعهم على نية نور الدين واستشارهم فسكتوا فقال ابن اخيه تقى الدين عمر : إذا جاء قاتلناه ووافقه غيره من اهله فشتمهم نجم الدين ايوب واحتد وكانذا راى ومكر وقال لتقى الدين اسكت وزَبَره وقال لصلاح الدين : انا ابوك وهذا خالك أتظن أن فى هؤلاء من يريد لك الخير مثلنا ؟ فقال : لا فقال : والله لو رأيت أنا وهذا نور الدين لم يمكنا إلا أن تنزل ونقبل الارض ولو أمرنا بضرب عنقك لفعلنا فما ظنك بغيرنا فكل من تراه من الامراء لو رأى نور الدين لما وَسعَه إلا ترجل وهذه البلاد له وإن أراد عز لك فأى حاجة له إلى المجىء ؟ بل يطلبك بكتاب وتفرقوا وكتب أكثر الامراء لنور الدين بما تم ولما خلا بولده قال : أنت جاهل تجمع هذا الجمع وتطلعهم على سرك ولو قصدك نور الدين لم تر احدا منهم ثم كتب الى نور الدين بإشارة والده نجم الدين يَخْضَع له ففتَر عنه**

**ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة**

**فأرسل السلطان فيها قراقوش مملوك ولد أخيه تقى الدين عمر إلى جبال نَفُسة ومعه طائفة من الاتراك فلما وصل الى الجبال استصحب معه منها بعض المتقدمين ونزل على طرابلس الغرب فحاصرها ثم فُتحَت فاستولى عليها قراقوش وسكنها وكثرت عساكره وفيها جهز السلطان شمس الدولة الى برقة فافتتحها على يد غلام له تُركى**

**ثم بلغ السلطان أمر ابن مهدى الخارج باليمن وماهو عليه من اختلال العقيدة فجهز أخاه شمس الدوله فافتتح اليمن وتملكها**

**ثم سار السلطان بنفسه من مصر يريد اقتلاع مدينة الكَرَك من الفرنج وبدأ بها لقربها اليه وكان من الوَهَن فى الاسلاك والعظمة فى الدين استيلاء الملاعين على الكَرَك وعلى قلعة أَيلة فإنهم يمنعون الحاج زأشد من ذلك مايُخْشَى على الحرمين الشريفين منهم إذ لم يكن بينهم وبينهما حاجز غير لُطْف الله وقصدوهما مَرات ثم يندفعون بمشيئة الله من غير دفاع من البشر وكانت الكَرَك تزيد على قلعة أَيلة بمنع القَوافل السائرة بين الشام ومصر فإنها كانت الدَّرْب وأما غزة والرملة وماحواليهما فكان الفرنج لا يُمَكّنون مسلماً أن يمر بهما فورد عليهما وحاصرهما وقاتل الفرنج ولم يفتحهما فى هذه السنة ورجع الى مصر**

**ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة**

**قال ابن الأثير : جهز السلطان أخاه تُوران شاه الى بلاد النوبة فافتتح منها ما شاء الله فلما عاد جهزه الى اليمن بقصد عبد النبى صاحب زبيد قطرده عن اليمن وملك زبيد وأسر عبد النبى وزوجته الحُرَّة وكانت صالحة كثيرة الصدقة وعُذب عبد النبى واستخرجت منه أموال ثم سار توران شاه الى عدن وملكها ياسر فأُسر وهُزم ثم سار فافتتح من حصون اليمن قلعة تُرف بقلعة الجَنَد قال أبو المُظَفر بن الجوزى يقال : افتتح ثمانين حصنا ومدينة باليمن وما حواليها**

**وقد تقدم فى السنة قبلها إرسال تورانْشاء وهو شمس الدولة الى اليمن ووقعة النوبة فقتل والله اعلم فى اى السنين كان إرساله**

**وفى هذه السنة وصل المُوَفق ابن القيسرانى الى مصر رسولا من الملك نور الدين يطالب السلطان صلاح الدين بحساب جميع ما حَصّله من أرياع البلاد ولم يعلم نور الدين بتفاصيل عُلُو شأن صلاح الدين وأنه مُستولٍ على أعظم ما فى يد نور الدين فصعب ذلك على صلاح الدين وقيل : إنه أراد شق العصا ثم ذكر لنور الدينحُقُقَه وإحسانه وأمر النُواب بالحِساب وعَرَضه على ابن القيسرانى وأراه جَرائد العساكر بالإقطاعات وأعاده الى نور الدين ومعه الفقيه عيسى وهَديّة عظيمة وهى خَتمة بخط ابن البواب وخَتمه بخط مُهَلهِل وختمه بخط الحاكم البغدادى ورَيْعَة مكتوبة بالذهب بخطٍ فارسى وربعْة عشرة أجزاء بخط راشد وثلاثة أحجار بَلَخْش وستة قُضبان زمرد وقطعة ياقوت وزن سبعةً مثاقيل وحَجَر أزرق ستة مثاقيل ومائة عقد جوهر وزنها ثمانمائة وسبعون مثقالا وخمسون قارورة دُهْن بَلَسان وعشرون قطعة بِلّوْر وأربع عشرة قطعة جَزْع وإبريق يَشَم وطشت يَشَم وصحون صينى وزَيادى أربعون وكرَتان عُود قَمارى وزن إحداهما ثلاثون رطلا بالمصرى والاخرى أحد وعشرون زمائة ثوب أطلس واربعة زعشرون بَقْيار مذهبة وخمسون ثوب حرير وحُلّة فُلفْلىِ كذهب وحُلة كرايش صفراء وغير ذلك من القماش الذى يكثر عَدّه وقيمة القماش على ما ذكر مائتان وخمس وعشرون الف مثقال ذهب ومن الخيل والبِغال والجوارى والسلاح شىء كثير ومن المال خمسة احمال ولم يصل شىء من ذلك الى نور الدين لانه مات قبل وصوله**

**ولما مات نور الدين طمعت الفرنج وتحركوا بالسواحل وسَلطَن الشاميون الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين وكان عمره نحو عشر سنين فا ستنجد بالسلطان صلاح الدين صاحب مصر ونزل الفرنج على بانياس وصالحهم امراء دمشق على مال وأسارى يُطلقون فلما بلغ ذلك صلاح الدين انزعج له وكتب الى الشاميين يوبخهم وكتب الى شيخ الشافعية شرف الدين ابن ابى عَصْرون يخبره انه لما اتاه كتاب الملك الصالح تجهز للجهاد وخرج وسار اربع مراحل فجاءه الخبر بالهدنة المؤذنة بذل الاسلام على يد من اقتلعها من دفع القطيعة والاسارى وسيدنا الشيخ اول من جرد لسانه الذى تُغْمد له السيوف وتُجَرّد**

**ولما بلغ صلاح الدين فى توبيخ الامراء وكان ابن المقدم اكبر امراء دمشق خشى من قدوم صلاح الدين الى الشام واشاع ان صلاح الدين يريد انتزاع دمشق من ولد مخدومه نور الدين وكتب الى صلاح الدين " لايقال عنك إنك طمعت فى بيت من غَرَسَك ورباك وأسسك وفى دست مصر أجلسك " ثم تعطف له وترفق ويقول " ومايليق بحالك غير فضلك واتصالك "**

**فكتب اليه صلاح الدين " إنا لا نؤثِر للاسلام وأهله الا ما جمع شَمْلهم وألف كلمتهم ولا تختار للبيت الأنابِكى أعلاء الله إلا ما حفظ اصله وفَرْعه فالوفاء انما يمون بعد الوفاة ونحن فى واد والظانون بنا سوء الظن فى واد "**

**ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة**

**وقد تزايد طمع الفرنج فى دمشق بموت نور الدين فرأى صلاح الدين من الحَزْم جمع المسلمين على سلطان واحد يقيم المِلة وينصر الشريعة وانه ذلك الواحد الذى تُعْقَد عليه الخناصر وان الاسلام محتاج اليه وصار الحاسدون والجاهلون بأحكام الشريعة يَعيبون منه قصده لاخذ دمشق ويقولون : كيف يَسْلب ولد أستاذِه نعمتَه وينزع ملكه وهم كما قال " فى واد " فإنه فيما يغلِب على الظنون إنما قصد لم شَعَث الاسلام وقيام الدين وظهر وظهر ذلك على يده من بعَعْدُ فخرج من مصر بجيوش لا يُحصى غددها واستخلف اخاه الملك العادل نائبا بها ووصل الى بُصرى رابع عشر من ربيع الأخر فخرج إليه صاحبُها منقاداً لخدمته ثم تتابع عسكر الشام ملاقين مستبشرين ونزل بحِسر الخشب في الثامن والعشرين وقد تكاثرت العساكر واذدحم المُلاقون واصبح لدخول دمشق فعارضه غدد من الرجال فدغستهم عساكره المنصورة وصدمتهم خيولُه وعَزَماته المأمورة ودخل البلد وملكها بلا قتال ونادى من ساعته بإطابة النفوس وإزالة المكُوس وكانت الولاية فى دمشق قد ساءت والمُكوس لبا=تى رفعها نور الدين قد أُعيدت فأعاد صلاح الدين الحق الى نِصابه وصارت دمشق مثل مصر وكلاهما فى مملكته**

**ثم خرج الى حِمص فنازلها ونصب المجانيق على قلعتها ولم يملكها وتَرَحّل عنها الى حماة فملكها فى جمادى الاخرة ثم سار الى حلب وحاصرها الى اخر الشهر وبها الصالح اسماعيل ولد نور الدين واشتد بها الحصار وهذه هى الفَعلة التى نُقمِت على صلاح الدين فالله أعلم بنيته وأنه أساء العِشرة فى حق الصالح ابن نور الدين بحيث استعان الصالح عليه بالباطنية ووعدهم بالاموال فقتلوا من امراء الامير خمارتكين وخَلْقا وجرحوا صلاح الدين ثم أمسكهم وقتلهم عن آخرهم ورجع الى حمص فحاصرها بقية رجب وتسلمها بالامان فى شعبان ثم عطف الى بعلبك فاستلمها ثم رد الى حمص وقد اجتمع عسكر حلب وكتبوا الى صاحب المصل يستعينون به على صلاخح الدين فجهز اليهم جيشه اليهم جيشه وأمدهم بأخيه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى فأقبل الكل الى حماة وقد استقرت لصلاح الدين فحاصرها فسار اليهم صلاح الدين فالتقاهم على قرون حماه فكسرهم أقبح كسرة ثم صار الى حلب فوقع الصلح بينه وبين ابن زنكى على أن يكون له إلى آخر بلد حماة والمَعَرة وان يكون لولد نور الدين حَلب وجميع أعمالها وتحالفوا ورد الى حماة وجاءته رُسلُ الخليفة المستضى بالخلع والهدايا والتهنئة بالمل ثم سار الى حصن بارين فحاصره ثم تسلمه**

**ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة**

**وفيها كان وقعة تل السلطان بنواحى حلب وذلك ان عسكر الموصل نكثوا أيمانهم ووافوا تل السلطان فى جموع كثيرة وعليهم السلطان سيف الدين غازى بن مَوْدود بن زنكى فالتقاهم السلطان صلاح الدين فى جمع قليل فهزمهم واسر كثير منهم وحقن الدماء ثم اخضر الامراء الذين اسرهم فمن عليهم وأطلقهم**

**ثم سار صلاح الدين الى مَنْبِج وأخذها فى شوال من يَنال بن حسان المَنْبجى وكان نور الدين قد أعطاها لينال عند ما انتزعها من اخيه غازى بن حسان وصعد الحصن وجلس يستعرض لموال ابن حسان صاحبها وذخائره فكانت ثلاثمائة دينار ومن اوانى الذهب والفضه والذخائر والاسلحة مايناهز ألفى الف دينار ورأى على بعض الاكياس والانية مكتوبا يوسف فسأل عن هذا الاسم فقيل : ولد له يحبه اسمه يوسف وكان يدخر له هذه الاموال فقال السلطان أنا يوسف وقد أخذت ماخبّى لي ثم سار إلى عَزاز فنازل قلعتها ثمانين يوما وقفز عليه وهو محاصرها قوم من الداوية وجُرح فى فخذه ( وأُخِذُوا فقُتلوا ) ثم افتتح عَزاز**

**ومن كتاب منه إلى أخيه العادل " ولم يَنَلْى من الحَشيشآ الملعون إلا خدش قطرت منه قطرات دم خفيفة انقطعت لوفتها واندملت لساعتها ثم سار من عزاز فنازل مدينة حلب كَرّرة اخرى فى نصف ذى الحجة وقامت القلعة فى حفظها بكل مُمكن وصابرها صلاح الدين شهرا**

**ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة**

**وفيها ترددت أرسل في الصلح بين السلطان صلاح الدين والملك الصالح إسماعيل ابن نور الدين فرحل صلاح الدين عن حلب وأبقاها لابن نور الدين ورد عليه غزاز وتوجه إلى مَصْياف بلد الباطنية فنصب عليها المجانيق وأباح قتلهم وخَرب بلادهم فتشغعوا بصاحب حماة شهاب الدين خال السلطان فسأل السلطان ( الصفح ) عنهم وتوجه عائدا الى مصر فوصلها وأمر ببناء السور الاعظم المحيط بمصر والقاهرة وجعل على بنايته الامير قراقوش ولم يزل يعمل فيه الى ان مات صلاح الدين وصُرفت عليه اموال جزيلة**

**وفيها امر بإنشاء قلعة الجبل المقطم التى هى الآن دار سلاطين مصر وجعل على بنائها ايضا قراقوش ولم يكن السلاطين قبلها يسكنون إلا دار الوزارة بالقاهرة**

**ثم سافر الى الاسكندريه وتردد الى السلفى فسمع منه الحديث ثم عاد الى مصر وبنى تربة الشافعى رضى الله عنه**

**ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة**

**وفيها كانت وقعة الرملة سار السلطان من القاهرة الى عسقلان فسَبَى من الفرنج كثيرا وغنم وسار الى الرملة وقد تجمعت عليه الفرنج وحملوا على المسلمين فانهزموا وثبت السلطان وابن اخيه تقى الدين عمر ودخل الليل واحتوى الفرنج على اثقال المسلمين واستشهد من المسلمين جماعة منهم احمد ولد تقى الدين عمر ولم يبق للمسلمين قدرة على ماء ولا زاد وتعسفّوا الرمال راجعين الى مصر**

**وفى هذه الواقعة أسر الفقيه عيسى الهَكارى أكبر الامراء فاقتداه السلطان بستين ألف دينار ودخل القاهرة بعد ثلاث عشر يوما وتواصلت خلفه العساكر ثم عاد السلطان إلى الشام**

**ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة**

**وفيها اجتمعت الفرنج عند حصن الأكراد فسار إليهم السلطان ولم يقع قتال ثم أغاروا على إعمال دمشق وجهز لحربهم فَرخْشاه ابن أخي السلطان فالتقاهم وكسرهم وقتل من مُقدميهم جماعة منهم هَنْفِرى قال ابن الاثير : وما أدراك ماهنفرى به كان يضرب المثل فى الشجاعة**

**ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة**

**وفيها ضربت الطبول ببغداد وزفت البشائر بانتصار السلطان صلاح الدين على الفرنج وأمْرِه لصاحب الرملة وصاحب طبرية الكافرين وهى وقعة مرج العيون**

**ومن حديثها ان صلاح الدين كان نازلا تل بانياس ببيت بسراياه فلما استهل المحرّم ركب فرأى راعيا فسأله عن الفرنج فأخبره بقربهم فعاد الى مخيمه وأمر الجيش بالركوب فركبوا وسار بهم حتى اشرف على الفرنج وهم فى الف قنطارية وعشرة آلاف مقاتل فارس وراجل فحملوا على المسلمين فثبتوا لهم وحملت المسلمون عليهم فَولوا الادبار فقتل اكثرهم واسر منهم مائتان وسبعون اسيرا منهم بادين وأود مقدم الداوية وابن القومصة واخو صاحب جُبيل وابن صاحب مُرقية وصاحب طَبَرية فأما بادين بن بيرزان فاستفك نفسه بمبلغ وبألف أسير من المسلمين واستفك الآخر نفسه بجملة وأما أود فجُن فى حبس قلعة دمشق وانهزم من الوَقعة ملكهم مجروحا وأبلى فى هذه الوقعة عز الدين فَرخْشاه بلاء حسنا**

**واتفق انه فى يوم الوَقعة ظَفر أسطول مصر بَبُطْسَتَيْن واسروا الف نفس فلله الحمد على نصره**

**وكان قَليج ارسلان سلطان الروم طلب حصن رَعّبان أنه من بلاده وإنما أخذه منه نور الدين على خلاف مراده وأن ولده الصالح اسماعيل قد أنعم به عليه فلم يفعل السلطان فأرسل فليج عشرين ألفا لحصار الحِصن فالتقاهم تقى الدين عمر صاحب حماة**

**ومعه سيف الدين على المشطوب فى الف فارس فهزمهم لانه حمل عليهم بغتة وهم على غير تَعْبية فضربت كوساته وعَمِل عسكره كراديس فلما سمعت الروم الضجة ظنوا انهم قد دهمهم جيش عظيم فركبوا خيولهم عُرْياً وطلبوا النجاة وتركوا الخيام بما فيها وأسَر منهم عددا ثم من عليهم بأموالهم وسَرّحهم ولم يزل تقى الدين يَدِل بهذه النصرة ولا ريب أنها عظيمة**

**وورد بغداد رسول صلاح الدين وهو مبارِز الدين كشطغاى وجلس له ظهير الدين أبو بكر ابن العطار وبين يديه أرباب الدولة فجاء وبين يديه اثنا عشر أميرا عليهم الخوذ والورديات ومع كل واحد قنطار يه وعلى كتفه طارِقة ملك الفرنج على القنطاريات سَعَف لبقرنج وبين يديه ايضا من التحف والنفائس من ذلك صنم حجر طول زراعين فيه صناعة عجيبة قد جعل سبابته على شفته كالمتبسّم عجبا ومن ذلك سينية مللآنة جواهر وضِلَع آدمى نحو سبعة أشبار فى عرض أربع أصابع وضلع سمكة طوله عشرة أذرع فى عرض ذراعين**

**وفيها جهز السلطان القاضى أبا الفضائل بن الشهرزورى الى الخليفة ايضا بجواهر مثمنة وعشرة اسرى من الفرنج**

**ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسنائة**

**وفيها توجه السلطان قاصدا بلاد الارمن وبلاد اروم ليُحارب قبيج أرسلان ابن مسعود بن قليج أرسلان عندما استجار محمد بن ارسلان بن داود صاحب حِصن كَيْقا بالسلطان على حَمْوه قليج المذكور ثم صلح الحال بينهما فنزل السلطان على حِصن من بلاد الارمن فأخذه وهدمه ثم رجع فعند وصوله الى حمص جاءه التقليد والخِلع من الخليفة الناصر فركب بها بحِمص وكان يوما مشهودا وولى عز الدين فَرُّخْشاه نيابة السلطنة بالشام وهو ابن اخيه ثم توجه السلطان الى مصر وتوجه منها الى الاسكندرية وشاهد ما تحدد بها من سور وسمع بها الموّطأ على ابى الطاهر ابن عوف**

**ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة**

**وفيها قصد نائب الشام عز الدين فرخشاه بمرسوم السلطان بلاد الكَرَك بالعساكر فخربها وذلك عندما بلغ السلطان أن اللعين صاحب الكَرَك سوّلت له نفسه قصد المدينة الشريفة ليمتلكها فلما نُهبت بلاجه عاد بالخيبة**

**وفيها ظهرت الوحَشْة بين الخليفة الناصر والسلطان وذلك إن السلطان لما اشتهر بالعدل وشدة الوطأة وخافته النفوس الفاجرة واستبشرت بت الأرواح الطاهرة وحسده ملوك الإطراف وأحبوا أن يُقعوا بينه وبين الخليفة سَوّلوا للخليفة أمورا أوجبت أن يكتب للسلطان يأخذ عليه فى الاشياء منها تسميته بالملك الناصر مع علمه أن الإمام اختار هذه التسمية لنفسه وهذه الواحدة على ندورتها مدفوعة بأن السلطان لقب بالناصر من ايام الخليفة المستضى قبل ان يلى الناصر الخلافة فكتب له السلطان جوابا فاضليا منه : والخادم ولله الحمد يعدد سوابق فى الاسلام والدولة العباسية ( لا يَعُدها أولّية ابى مسلم لانه والى ثم وارَى ولا آخِريه طُغْرُلبك لانه بصر ثم حجر والخادم بحمد الله خلع من كان ينازع الخلافة رداءها وأساغ الغصّة التى ذخر الله لإساغة فى سيفه ماءها فرحل الاسماء الكاذبة الراكبة على المنابر وأعز بتأييد إبراهيمى فكير الاصنام الباطنة بسيفه الظاهر لا الساتر وفعل وما فعل للدنيا و لامعنى للاعتداء بما هو متوقع الجزاء عنه فى اليوم الاخر**

**ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة**

**قيها افتتح السلطان حَران وسروج وسنجار ونصبين والرفة والبيرة وآمد ونازل الموصل وحاصرها وبهره مارأى من خصانتها وجاءه شيخ الشيوخ صَدر الدين من قبل الخليفة يتشفع فى صاحب المَصْل فرحل عنها**

**وفيها بعث السلطان أخاه سيف الاسلام طُغْتِكين على نيابة السلطنة بإقليم اليمن بأسره وأمره بإخراج نُواب أخيه تُوران شاه بها فرحل إليها وقَبَض على متولى زبيد حِطان ابن منقذ واخذ منه أموالا جزيلة وسكن سيف الاسلام فى اليمن**

**وفيها مات عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه ابن ايوب نائب الشام فبعث السلطان على نيابة دمشق شمس الدين الدين محمد بن المقُدم**

**وفيها خرج السلطان بنفسه من مصر غازيا وما تهيّأ له الهود إليها وقد عاش بعد ذلك اثنتى عشرة سنة**

**ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة**

**ورُسُل الخليفة فى كل سنة تجىء غير مرة بالتودد ظاهرا واستعلام أخبار السلطان باطنا فلا يرون إلا إماما عادلا لايُصطلى له بنار وغضنفر باسلاً لا يقوم لغضبه إلا الواحد القهار وكتب له السلطان كتابا فاضليا فيه من أخبار الفرنج : كان الفرنج قد ركبوا من الأمر نُكْرا وافْتَضُّوا من البحر بِكْرا وعَمَروا مراكب حربية شحنوها بالمقاتلة والاسلحة**

الهوامش

وقعة " الكنز "

**وقعة الكنز باسوان**

**570 هجرية**

بعد نھایة حكم الدولة الفاطمیة في مصر، وتولي الدولة الأیوبیة مقالید الأمور في مصر، ظھر رجل في الصعید یقال اسمه"الكنز"، ویقال أحیانا اسمه عباس بن شادي، في أسوان، حیث صار یدعو لعودة الدولة الفاطمیة، فاجتمع حولھ خلق كثیر من العربان والحضر، حیث كان یزعم أنھ سیدحض الأتابكة، وسیقضي علي الدولة الأیوبیة. ھذا ما سرده صاحب كتاب "البدایة والنھایة" عن ذلك الرجل، الذي كان سببًا رئیسیًا في مقتل 3 آلاف شخص، صدقوا دعوته على إعادة الدولة الفاطمیة مرة ثانیة، بل صدقوا أنه ابن الخلیفة العاضد رغم أنھ لم یكن كذلك. استغل الكنز وجود الكثیر من المدن المتعاطفة مع الدولة الفاطمیة في مدن الصعید، مثل إسنا وقفط وأرمنت، حیث استمرت الدولة الفاطمیة في مصر لنحو 262 سنة، فیما كانت الدولة الأیوبیة السنیة ناشئة منذ عدة سنوات. صار یتجول الكنز في مدن الصعید، ویجمع فیھا الكثیر من الأعوان، ثم قصد قوص التي كانت العاصمة الثانیة لمصر آنذاك، وقتلوا أمراءھا ورجالھا، لتبدأ وقائع الفتنة والقتل بین أبناء المذھبین السني والشیعي. یقول الباحث نور علي الدین القفطي، صاحب كتاب "قفط مدینة الخلود إن قفط شھدت مذبحة مروعة رصدھا المؤرخ المقریزي بقوله"كانت بقفط فتنة كبیرة، وكان سببھا أن دعیا من بني عبدالقوي، ادعي أنھ داوود بن العاضد الفاطمي، فاجتمع علیه الناس فأرسل السلطان صلاح الدین الأیوبي أخاه الملك العادل أبو بكر الكردي، علي رأس جیش لھم لوأد الفتنة، وانتھت الفتنة بقتل 3 آلاف شخص، كما یؤكد المؤرخون العرب الذین سردوا واقعة الكنز". ھل كانت الفتنة سیاسیة من الأساس تطمح لعودة الدولة الفاطمیة وأخذت شكل مذھبي ؟ یجیب "نور القطي"، أن صاحب كتاب "البدایة وألنھأية"، سرد تاریخ المذبحة، وقال "كانت في عام 570 ھجریًا، إلا إن المقریزي یذكر أنھا كانت في عام 572 ھجريه" مضیفًا، أنه ربما شھدن قفة الكثیر من وقائع الفتن الدمویة عقب سقوط الدولة الفاطمیة، فإن من المؤكد أن طابعھا كان سیاسیًا. شقیق صلاح الدین الأیوبي، الملك العادل، الذي كان علیه أن یقضي على الفتنة المشتعلة، قام بقتل 3 آلاف من رموز الفتنة، وصلبھم على شجر بعمائمھم، ویضیف "نور الدین"، أن ما حدث كان أشبه بقتال عنیف دموي بین الشیعة والسنة، أدى لتدخل الدولة لطنتھي الفتنة الكبرى بقتل رموز الفتنة، وقتل آلاف من الأشخاص الذین انساقوا وراء شخص ادعى كذبًا أنھ ابن خلیفة. ویضیف الباحث نور الدین، إن كتاب "نزھة المشتاق" وصف قفة بأن أھلھا شیعة، وھي جامعة متحضرة بھا أخلاط من الناس، بینھم بقایا من الروم أي البیزنطیین، لافتًا إلى أن صلاح الدین الأیوبي قام بإرسال الوزراء والقضاة وكبار رجال الدولة ممن كانوا یعملون في بلاد الشام، وخاصة مدینة حلب إلي مدینة قفة جنوب قنا، وذلك لتغییر مذھبھا للسنة بعد القضاء علي فتنة ابن داوود، كما عنیت الدولة بإقامة المساجد التي لم یبق منھا غیر ثلاثة في عصرنا الحاضر.